

## المبحث الثاني

### نبذة عن أشهر من نقد «الصحيحين» من المتقدمين

علينا قبل اهتمام أهل الحديث وحُذاق العلل بفحص أحاديث «الصحيحين» منذ وقت مبكر، حيث احتفوا بهما كأشد ما تكون الحفاوة والإجلال، من غير أن يمنعهم ذلك أن يعلنوا بأحاديث رأوا فيها نوع علة تخل بشرط المصنفين، مَيِّزوها في مُصَنَّفَاتٍ مستقلة عديدة.

وليس يخفى على حَدِيثِي أَنْ أبرز من تَوَجَّه إلى نقد الكتابين من أئمة العلل أبو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، وذلك في ثلاثة من مُصَنَّفَاتِهِ، تفاوتت في عدد ما أعلَّته في «الصحيحين»، أشهرها «التَّبَع»؛ مُحْصَل ما في هذا الكتاب من أحاديث مُتَكَلِّم فيها - من غير المُكْرَر - مائتا حديث<sup>(١)</sup>.

والدارقطني لم يَتَغَيَّ في هذا السُّفر استيعاب جميع ما يراه مُنتَقِداً على الشَّيْخَيْن، فإنَّنا نجد في كتابه الآخر المَشْهُور بـ «الْعِلَلُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ» أحاديث أعلَّها لم يذكرها في كتاب «التَّبَع»، قد بَلَغَ تعدادها سبعة وثلاثين حديثاً<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر «الإلزامات والتبع» بتحقيق مقبل بن هادي الوادعي (ص/٣٨٢).

(٢) اشترك الشَّيْخَان في ثمانٍ منها، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث منتقدة، وسلم بخمسين وعشرين، وهذا حسب التَّلَبُّع الأولي من الكتاب بتحقيق محفوظ الرحمن السلفي سنة ١٤٠٥هـ، والتي في إحدى عشر مجلداً من أول حديث أبي بكر رضي الله عنه، إلى نهاية حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ وانظر «أحاديث الصحيحين التي أعلَّها الدارقطني في كتابه العلل وليست في التَّبَع» لـ د. عبد الله بن عبد الهادي القحطاني (ص/٥٢٠-٥٢٢).

فضلاً عن جُزءٍ آخرَ له مُفَرَّدٌ صغيرٌ أملاه على أَحَدِ السُّؤَالِ مِنْ جَفْظِهِ،  
اشْتَمَلَ علىِ إثني عشرينَ حديثاً في البخاريّ تَكَلَّمَ في أُسَانِيدها، فيه زوائدٌ قليلةٌ  
على ما في «الْعِلَلِ» وفي «التَّبَعِ»<sup>(١)</sup>.

والدَّارَقُطْنِيُّ مع ما أبداه في هذه الصُّحُف من كلامٍ في بعض أُسَانِيدِ  
«الصَّحِيحِينَ»، شديدُ التَّعْظِيمِ للكتابين صاحبيهما، كثيرُ الإحالة عليهما، مُعْتَدٌّ  
بتوثيقهما للرِّوَاةِ<sup>(٢)</sup>.

وقبله تَكَلَّمَ بعضُ الحُقَاطِظِ على ما أورده مسلم في «صحيحه»، أشهرهم ابنُ  
عَمَّارِ الشَّهِيدِ (ت ٣١٧هـ)، حيث تَكَلَّمَ في كتابه «عِلَلُ الْأَحَادِيثِ فِي كِتَابِ  
الصَّحِيحِ لِمُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ» على سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ حديثاً، منها ما لم يُورده  
الدَّارَقُطْنِيُّ في «التَّبَعِ»<sup>(٣)</sup>.

ثمَّ أتى بعدهما مَنْ اشْتَغَلَ بِذِكْرِ نَقْدَاتِهِ على «الصَّحِيحِينَ»، أشهرهم أَبُو عَلِيٍّ  
الْغَسَّانِيُّ (ت ٤٩٨هـ) في كتابه «تَقْيِيدُ الْمُهْمَلِ، وَتَمْيِيزُ الْمُشْكَلِ»، غُني في فَصْلَيْنِ  
منه بِذِكْرِ الْأَحَادِيثِ الْمُعَلَّةِ فِي الْكِتَابَيْنِ مِمَّا لم يذكره الدَّارَقُطْنِيُّ<sup>(٤)</sup>؛ لِيُلْحَقَهُ

---

(١) كَالْحَدِيثِ الْعَاشِرِ وَالْحَادِي عَشَرَ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْمَطْبُوعِ بِاسْمِ «بَيَانِ أَحَادِيثِ أَوْدَعَهَا الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ  
الصَّحِيحِ وَبَيْنَ عِلَلِهَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ» بِتَحْقِيقِ د. سَعْدِ الْحَمِيدِ، سَنَةِ ١٤٢٥هـ، وَقَدْ وَقَعَ  
هَذَا الْجُزْءُ لِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ وَنُقِلَ مِنْهُ بَعْضُ الْمَسَائِلِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي «التَّبَعِ»، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ  
مُسَمَّوَاتِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي «مَعْجَمِهِ الْمَفْهُوسِ» وَالْمَجْمَعِ الْمَوْسُوسِ، انْظُرْ (ص/٢٢) مِنْ مَقْدَمَةِ الْمُحَقِّقِ  
لِهَذَا الْجُزْءِ.

(٢) يَذْكُرُ عَبْدُ اللَّهِ الرَّحِيلِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ وَآثَارُهُ الْعِلْمِيَّةُ» (ص/١٦٠-١٦١) جَمَلَةً  
مِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي كَتَبَ الدَّارَقُطْنِيُّ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى اعْتِدَادِهِ بِالصَّحِيحِينَ وَتَعْظِيمِهِ لِهِمَا.

(٣) مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحَادِيثٍ عَزَاها إِلَى «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» بِرَقْمِ (٢٧، ٢٩، ٣٢) وَلَا تَوْجِدُ فِي النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْهُ  
وَلَا فِي شُرُوحِهِ.

(٤) إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا ظَنَّ الْغَسَّانِيُّ فِي «تَقْيِيدِهِ» (٣/٨٦٦) أَنَّ الدَّارَقُطْنِيَّ لَمْ يُورِدْهُ، وَهُوَ حَدِيثُ مُسْلِمٍ:  
«أَتَى اللَّهَ بَعْدَ مَنْ عَابَدَهُ أَنَا اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا...»، مَعَ أَنَّ الدَّارَقُطْنِيَّ أَوْرَدَهُ فِي  
«التَّبَعِ» (ص/٣٠٧).

أبو الحسن ابن القطان الفاسي (ت ٦٢٨هـ)، الَّذِي تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا فِي «بيان الوهم والإيهام»<sup>(١)</sup>.

فِي مُقَابِلِ هَؤُلَاءِ؛ بَرَزَ مِنْ أَهْلِ الْفَنِّ مَنْ تَصَدَّى لِلرَّدِّ عَلَى أَكْثَرِ تِلْكَ التَّعْلِيلَاتِ، وَالْإِنْتِصَارِ لِلشَّيْخَيْنِ فِي أَغْلَبِ مَا انْتَقِدَ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ قَوْلُ السُّيُوطِيِّ (ت ٩١١هـ):

وَانْتَقَدُوا عَلَيْهِمَا يَسِيرًا فَكُنْمْ تَرَىٰ نَحْوَهُمَا نَصِيرًا<sup>(٢)</sup>  
أَشْهَرُهُمْ فِي ذَلِكَ أَبُو مَسْعُودِ الدَّمَشْقِيِّ (ت ٤٠١هـ) فِي كِتَابِهِ «الْأَجُوبَةُ عَمَّا أَشْكَلَ الشَّيْخَ الدَّارِقُطَنِي عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْجَوَابِ هُوَ أَغْلَبُ مَادَّةِ الْكِتَابِ<sup>(٣)</sup>.

وَلَيْسَ يَسْتَغْنِي أَحَدٌ بِنَشْدِ مَتْنِ جَوَابٍ عَنْ تِلْكَ التَّنَقُّدَاتِ، عَمَّا دَبَّجَتْهُ يِرَاعُ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ (ت ٨٥٢هـ)، وَذَلِكَ فِي مُقَدِّمَتِهِ الْبَدِيعَةِ لشرح البخاري «هَدْيُ السَّارِي»؛ أَوْرَدَ فِيهِ مِائَةَ حَدِيثٍ وَعِشْرَةَ (١١٠) مِمَّا أَعْلَهُ الدَّارِقُطَنِي وَغَيْرُهُ عَلَى الْبُخَارِيِّ بِخَاصَّةٍ، ذَكَرَ أَنَّ مُسْلِمًا شَارَكَهُ فِي أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، دَافَعَ عَنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، ثُمَّ فَصَّلَ الْقَوْلَ فِي كُلِّ حَدِيثٍ مِنْهَا عَلَى تَرْتِيبِ أَبْوَابِ «الصَّحِيحِ»؛ وَمَا لَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْمُقَدِّمَةِ، اسْتَدْرَكَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعٍ شَرَحَهُ لَهَا<sup>(٤)</sup>.

---

(١) يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الصَّدِيقِ الْغَمَارِيُّ فِي كِتَابِهِ «عِلْمُ عِلَلِ الْحَدِيثِ مِنْ خِلَالِ كِتَابِ الْوَهْمِ وَالْإِيهَامِ» (٣١٦/٢): «... تَارَةً يَضَعُفُ -بَعْنِي ابْنُ الْقَطَّانِ- مَا أَخْرَجَهُ فِي الصَّحِيحِ، وَتَارَةً يَقُولُ: إِنْ مَا صَحَّحَهُ الْبُخَارِيُّ كَثِيرُهُ يَجِبُ النَّظَرُ فِيهِ».

وَقَالَ (ص/٣٤٧): «عَلَّلَ ابْنُ الْقَطَّانِ كَثِيرًا مِنْ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِينَ أَوْ أَحَدَهُمَا بِالطَّعْنِ فِي رَجُلٍ فِي إِسْنَادٍ مِنْ أَصَانِيدِهِمَا، وَاعْتَبَرَ الْحَدِيثَ الْمُتَكَلِّمُ فِيهِ إِمَّا ضَعِيفًا وَإِمَّا حَسَنًا».

(٢) «الْفَيْةُ الْحَدِيثُ» لِلْسُّيُوطِيِّ (ص/٧).

(٣) وَفِيهِ إِيرَادُهُ تَعْقِبَهُ عَلَى مُسْلِمٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ بَعْضِ الرُّوَلَةِ مَعَ رَمِيهِمْ بِالضَّعْفِ -وَهُمْ قِلَّةٌ- وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَقَدْ يُوَافِقُ الدَّارِقُطَنِيَّ عَلَى تَعْلِيلِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَأَلُ جَهْدًا فِي الْإِعْتِنَاءِ عَنْ مُسْلِمٍ مَا أَمَكْنَهُ إِلَى ذَلِكَ، انْظُرْ مُقَدِّمَةَ تَحْقِيقِ كِتَابِ «أَجُوبَةُ أَبِي مَسْعُودِ الدَّمَشْقِيِّ عَمَّا أَشْكَلَ الدَّارِقُطَنِي عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِإِبْرَاهِيمِ الْكَلِيبِ (ص/٩٧) وَمَا بَعْدَهُ.

(٤) انْظُرْ «هَدْيُ السَّارِي» (ص/٣٤٦).